إدارة المسنين في الإسلام
نظرة الإسلام لكبار السن

أ. م. د رياض عبد اللطيف حسن العاني
قسم العلوم التربوية والنفسية / كلية التربية للبنات / جامعة الأنبار

المقدمة

أن مشكلة كبار السن أو المسنين من المشكلات التي تعاني منها الدول المتقدمة وتصرف الأموال من أجل العناية بهم ورعايتهم وإسكانهم وذلك نتيجة للتفكك الأسري التي تعاني منه خاصة بعد التقدم العلمي والتكنولوجي ومنه التقدم في مجال الطب ونظم العلاج الذي أدى إلى زيادة معدل الأعمار مما أدى إلى زيادة عدد هؤلاء المسنين.

أما في بلداننا العربية ومنها بلدنا العراق فأن هذه المشكلة لا زالت لا تشكل إلا نسبة قليلة قياساً بالمعدلات العالمية وذلك لأن التماسك العائلي وغط العلاقات والروابط لا زال يشكل الدعامة الأساسية للأسرة فضلاً عن تمسك هذه الأسرة بمبادئ الإسلام بهذا الخصوص.

وهذا البحث يتناول موقف الإسلام من كبار السن ونظرته لهم حيث عني الإسلام كبار السن عناية فائقة من خلال تربية الأسرة على مبادئ وتقوى الله وطاعته فأصبحوا ينعمون بالدفء والحنان العائلي والاحترام والتقدير والمكانة العالية.

تكون البحث من أربعة مباحث الأول أهمية البحث والحاجة إليه وهدف البحث وحدود البحث والتعريف ببعض المصطلحات والمبحث الثاني تضمن احترام الكبير وتوقيره وإكرامه والرحمة به في الإسلام.

كما تضمن المبحث الثالث معاملة المسنين من الوالدين في العائلة من وجهة نظر الإسلام أما البحث الرابع فقد تضمن الاستنتاجات والتوصيات عسى أن يكون قد وفقت في تمجيد وإبراز موقف الإسلام من كبار السن.

أهمية البحث والحاجة إليه:

جاء الإسلام فكان من أولويات اهتمامه هو الأسرة وتماسكها ووحدتها وإرساء دعائم المحبة والتراحم والتفاهم والتعاطف والتواد والعفاف بين أفرادها ونهي عن التقاطع والتدابر والتباغض والشحناء أيماناً بأهميتها على اعتبارها النواة الأساسية للمجتمع بصلاحها يصلح ذلك المجتمع.

وهي عمادة وصرحة وكلما تفككت الأسرة وضعفت الروابط بين أعضائها أصاب المجتمع الضعف والانحطاط وبالتالي السقوط والانهيار (٦ ص ٤٥٥).

ومن الاهتمام الكبير بالأسرة وصلاحها ورعايتها التي أولاها الإسلام والتي لم يسبقه أحد في ذلك هو اهتمامه ببناء الأسرة على وفق قواعد الإسلام حتى قبل إنشائها عن طريق اختيار الزوج والزوجة الصالحة فقد قال الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم): (إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه أن لا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير) (١٠ ص ٥٠).

كما أن الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم) يأمر المسلمين أن يتزوجوا المرأة الصالحة المؤمنة ذات الدين فيقول (عليك بذات الدين تربت يداك) (٨ ص ١٣). ونهانا الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم) الزواج بالمرأة ذات المنبت السوء حتى لو كانت ذات جمال وحسب نسب).

كذلك أهتم الإسلام بتربية الأبناء تربية صالحة وجعل الوالدين هم المسؤولون عن ذلك فعن أبي هريرة قال الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم) ((ما من مولود إلا يلد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويشركانه) (١٣ ص ٢٦٧).

وقوله ((إلا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته) (١٣ ص ٢٦٧).

أن هذه التربية تمتاز بالشمول والتكامل والتوازن والترابط من جميع أجزائها من اجل تكوين الشخصية المؤمنة الصالحة التي تعرف

حقوقها وواجباتها على وفق ما جاء بالقرآن الكريم والسنة النبوية والتي تميزت هذه الشخصية من ضمن ما تميزت به احترام الكبير وتوقيره ومعرفة قدره وإنزاله بالمنزلة التي تليق به.

كما أن من الأمور المهمة التي أولاها الإسلام أهمية كبيرة هم الوالدين انطلاقا من مبدأ تكريم الإسلام واعتباره قيمة عليا فقال الله تعالى: ((ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً)) (الإسراء: ٧٠)

أن الإسلام ضمن الرعاية الاجتماعية لكل فرد بما فيهم كبار السن وجعل هذه الرعاية من مسؤولية الأسرة وهي مسؤولية دينية ودنيوية وهي قانون إلهي ليس فيه منة ولا فضل فإذا عجزت الأسرة عن ذلك انتقلت المسؤولية إلى المجتمع لقوله تعالى: ((وفي أموالهم حق للسائل والمحروم)).

كما أن الإسلام حرص على تكوين مجتمع متكامل يقوم على المحبة والرحمة والعدالة الإنسانية وعلى العلاقات المترابطة (٢ ص ٤١). لذلك فأن هذا البحث يكتسب أهمية خاصة لكونه يبحث في كيفية تعامل الإسلام مع كبار السن بشكل عام والوالدين بشكل خاص لهم لنتعرف على المنهج الإلهي الشامل المانع الذي وضعه الإسلام لمعاملة كبار السن والوالدين منهجاً فريداً طوعا نابعاً من نفس مؤمنة ليكفل لهم الأمن النفسي والاجتماعي. بعد أن هيأ كافة الإمكانيات الروحية والنفسية والمادية والبشرية لذلك.

هدف البحث:

يهدف البحث إلى الكشف عن كيفية إدارة المسنين في الإسلام والمنهاج الذي وضعه لذلك لتحقيق الأمن النفسي والاجتماعي والاقتصادي والصحي لهم.

حدود البحث:

يتحدد هذا البحث بموقف الإسلام من كبار السن بشكل عام والوالدين بشكل خاص.

تحديد بعض المصطلحات المتعلقة بالموضوع:

يعد موضوع تحديد المفاهيم والمصطلحات من الأمور الضرورية التي تؤدي إلى توضيح معالم البحث وتجعل موضوعه مفهوماً وخاصة تلك المفاهيم والمصطلحات التي لها علاقة بطبيعة البحث:

٠١ كبار السن:

لقد عرف كبار السن بتعاريف مختلفة بحسب البعد الذي ينظر منه إلى كبير السن وكما يأتي:

(أ) البعد الزمني:

أن تحديد كبار السن بهذا البعد يختلف من مجتمع إلى آخر بحس درجة تقدم ذلك المجتمع وفلسفته الاجتماعية وحالته الاقتصادية ويذكر أكرم غلام في رسالته أن (Hurioch) قسمت مرحلة الشيخوخة إلى مرحلتين مرحلة الشيخوخة المبكرة من سن (٦٠) سنة إلى سن (٧٠) سنة والمرحلة الثانية من سن (٧٠) حتى نهاية العمر (٥ ص ١٣).

(ب) البعد السيكولوجي:

الذي يحد الكبر بالاضطرابات العقلية والنفسية ويعتبرها دليل على الكبر.

(ج) البعد الاقتصادي:

الذي يحدد الكبر بتقليص النشاط الاجتماعي والاهتمامات.

(د) البعد الاجتماعي:

الذي يحدد الكبر بتقلص النشاط الاجتماعي والاهتمامات.

(هـ) البعد البيولوجي:

والذي يحدد الكبر في ضوء بعض التغييرات البيولوجية حيث تنشأ الشيخوخة من تراكم الآثار الضارة لما يحدث من تلف أو مرض أو اضطراب التدهور ناجمة عن شيخوخة الخلايا والأنسجة أو بسبب تراكم آثار من القصور في العمليات الكيماوية والحيوية أو يكون السبب هو مجموعة من تلك العوامل (٣ ص ١٨).

٠٢ الإدارة:

عرفت الإدارة تعاريف كثيرة ويتعدد تعكس وجهة نظر أصحابها وفلسفتهم نقتطف بعض منها:

يعرفها موسى: بأنها إنجاز الأعمال المطلوبة لتحقيق الأهداف من خلال الآخرين ومعهم (١٢ ص ٢٩).

أن (جونس) يعرف الإدارة بأنها توجيه الوسائل والطرق نحو تحقيق هدف معين.

ويعرفها (كوفتزودونيل) بأنها عملية خلق البيئة الداخلية للجهد المنظم بغرض تحقيق الأهداف الجماعية.

ويرى (هايمان) بأنها وظيفة من شأنها أداء الأعمال عن طريق أفراد آخرين وتوجيه جهود هؤلاء الأفراد نحو هدف (١٤ ص ١٢ - ١٣).

٣٠ الإدارة الإسلامية:

لقد ذكر الزجاجي عدة تعاريف للإدارة الإسلامية في بحثه مصطلح النظرية في العلوم الاجتماعية ومدى موافقته للمنظور الإسلامي (دراسة إدارية منها:

* الإدارة الإسلامية هي عبارة عن نشاط إنساني مشروع يؤدي في وقت محدد لتحقيق هدف مباح.
* وهي أيضاً عبارة عن نشاط إنساني يقوم به الفرد أو جماعة من خلال تقديم خدمة أو سلعة مباحة في وقت محدد وذلك من أجل تحقيق أرباح مشروعة.
* وهي عبارة عن مجموعة من النشاطات الإنسانية التي يقوم بها الراعي ومعاونوه رؤساء ومرؤوسين في وقت محدد داخل الوحدات الحكومية من خلال تقديم خدمة أو سلعة مشروعة للرعية بلا تمييز شعوراً منهم بأمانة الأداة أثناء ممارستهم الإدارية ووفقاً لأنظمة وتعليمات مصدرها الشريعة الإسلامية مستغلين في ذلك كافة الإمكانات المتاحة سعياً وراء تحقيق أهداف عامة مباحة من أجل إسعاد الأمة وتوفير الأمن والاستقرار والرخاء والازدهار الاجتماعي والاقتصادي والسياسي لها (١١ص٢١١ -٢١٢).

المبحث الثاني

احترام الكبير وتوقيره وإكرامه والرحمة به في الإسلام

١٠ احترام الكبير وإكرامه في الإسلام:

أن احترام الكبير وإجلاله وتوقيره وإكرامه من المبادئ الأخلاقية السامية التي حرص الإسلام التأكيد عليها في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

فالمنزلة العظيمة التي جعلها الإسلام للكبير لخبرته وسعة تجربته وحكمته ونظرته الشاملة في الحياة وما قدمه لها من جهد وما أفناه من طاقة أعطت لهذا الكبير أهمية ومكانه في المجتمع فالحياة وتطورها وتقدمها لا تعتمد على الشباب فقط بل أن للكبار دور فعال فيها.

والكبير عندما وقره الإسلام وأعلى منزلته ذلك حفاظاً عليه من الذل والمهانة لضعفه وقلة حيلته واعترافا بفضله وصيانة المجتمع له فوضع لنا منهاجاً لكيفية احترام الكبير حيث من آيات احترام الكبير هو معاملته بكل هيبة إكراما له وتنزيهه وتكريمه ليضمن له الحياة الكريمة الهانئة دون منه أو فضل وليبقوا هم أصحاب الفضل والمنة كذلك يضمن لهم الإسلام عزاً وعلو شأن في المجتمع والمهابة والاستمرار في رعايتهم وتحمل تبعاتهم بحكم السن عن رضا وقناعة وحمايتهم من عوادي الزمن ويبعد عنهم الذل والمهانة والتنكر لهم وعقوقهم.

ولو أحصينا الأحاديث النبوية في هذا المجال لوجدناها كثيرة ولكن نكتفي ببعض الأحاديث التي تظهر لنا إكرام الإسلام لهم حيث أن الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم) (يوصينا في هذه الأحاديث بكل ما يعلو شأن الكبير ويحافظ على مكانته وتقديره وتوقيره في جميع النواحي وكما يأتي:

(أ) استحياء الله سبحانه وتعالى من ذي الشيبة:

أن الله سبحانه وتعالى إكراما منه لذي الشيبة وتوقيره فأنه يستحي جل جلاله أن يعذبه يوم القيامة فعن أنس (رضي الله عنه) أن النبي الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم) قال: ((أن الله تعالى ينظر إلى وجه الشيخ صباحاً ومساءاً ويقول كبر سنك ودق عظمك وضق جلدك وأقترب أجلك فأستحي مني فأني أستحي منك)) (٨ ص ٧٣).

وعن النبي الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم) قال: ((أول من جزع من الشيب إبراهيم عليه السلام فقال رب ما هذه الشوهة التي شوهت بها خليلك ؟ فأوحى الله أليه هذا سر بال الوقار ونور الإسلام وعزتي وجلالتي ما ألبسته أحداً من خلقي يشهد أن لا آله إلا أنا وحدي لا شريك لي وإلا استحيت منه يوم القيامة أن أنصب له ميزاناً أو أنشر له ديواناً أو أعذبه بالنار)).

وعن أنس قال رسول الله قال الله تبارك وتعالى ((وعزتي وجلالتي وفاقه خلقي إلا أني لأستحي من عبدي وأمتي يشيبان في الإسلام إن أعذبهما)) (٦ ص ٧٥).

(ب) تفضيل كبير السن وتقديمه:

لقد حرص الإسلام على إعطاء الكبير المنزلة التي تليق به وإظهار هذه المنزلة أمام الآخرين ليقتدوا بها وتفضيله على من هم أصغر منه سناً وتقديمه عليهم فعن أبن عمر (رضي الله عنه) قال: ((أراني في المنام أتسوك بسواك فجاءني رجلان أحدهما أكبر من الآخر فتناولت السواك الأصغر فقيل لي كبر فدفعته إلى الأكبر منهما)). رواه مسلم بإسناد (٩ص ١٤٤).

وعن أبي يحي وقيل أبن أبي محمد سهل بن حتمة الأنصاري (رضي الله عنه) قال: ((أنطلق عبد الرحمن بن سهل وحريصه أبناء مسعود إلى النبي الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم) (فذهب عبد الرحمن يتكلم فقال: كبر كبر - وهو أحدث القوم فسكت فتكلم)). متفق عليه. (٩ ص ١٤٣)

وعن النبي الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم) ((ما من نبي إلى مشى الي وسلم علي ليلة المعراج إلى نبي واحد قال جبريل أمشي إليه وسلم عليه يا محمد لا بكونه أفضل منك بل لشيخوخته هذا نوح شيخ المرسلين)). (٨ ص ٧٢).

وقد روي أبن عمر (رضي الله عنه) عن رسول الله (أنه قال: ((أمرني جبريل عليه السلام أن اكبر فقال قدموا الكبير)). (٦ ص ٧٤).

(ج) رفع منزلة الكبير:

أن الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم) جعل منزلة الشيخ في قومه كمنزلته في أمته توقيراً وتقديراً له وإظهار هيبته ووجوب احترامه وطاعته فعن النبي الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم) قال: ((الشيخ في قومه كالنبي الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم) في أمته)). (٨ ص ٧٤).

وقال ((ليس منا من لا يرحم الصغير ويعرف شرف الكبير)). (٩ص١٤٤).

وعن أنس (رضي الله عنه) قال رسول الله سيدنا محمد الكريم (صلى الله عليه وسلم): ((ما أكرم شاب شيخاً لسنه إلا فيض الله من يكرمه عنده سنه)). رواه الترمذي (٩ ص ١٤٥). وعن أبن عباس (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (((البركة مع كباركم)). (٦ ص ٧٥).

وقال الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم) ((أن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم)). (٨ص٧٥).

ما أعظم الإسلام وما أعظم ما وضعه من القيم الأخلاقية السامية للتعامل مع هذه الشريحة من المجتمع.

(د) رحمة الله سبحانه وتعالى بكبير السن:

إن الله سبحانه وتعالى رحيماً بعباده وأرسل نبيه الكريم رحمة للعالمين فلذلك لا غرابة أن يربي الإسلام المسلمين على الرحمة بالكبير وهو الذي علا من منزلته وبالغ في إكرامه. إن الرقة والرأفة والعطف على الكبير من صفات المؤمنين الصالحين الذين يحرصون على طاعة الله وينشدون رضا الله سبحانه وثوابه يوم لا ينفع لا مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم وأن من رحمة الله سبحانه وتعالى لكبار السن هو عدم تعذيبهم يوم القيامة بالنار مما سبق أن بيّنّا وكذلك يصرف عنهم الجنون والجذام والبرص ويخفف من ذنوبهم ويتجاوز عن سيئاتهم بل يدخلهم الجنة بدون حساب، فعن عائشة (رضي الله عنه) قالت: قال رسول الله ((من بلغ الثمانين كم هذه الآمة لم يعرض ولم يحاسب وقيل أدخل الجنة)) (٨ص٧٢).

وعن النبي الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم): ((إذا بلغ المرء المسلم أربعين سنة صرف عنه ثلاثة، الجنون والجذام والبرص وإذا بلغ الخمسين خفف الله عنه ذنوبه وإذا بلغ الستين رزقه الله الإنابة وإذا بلغ السبعين سنة أحبه الله تعالى وأحبه أهل السماء وإذا بلغ الثمانين سنة قبل الله حسناته وتجاوز عن سيئاته وإذا بلغ تسعين سنة غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر وكان أسير الله في الأرض وشفيعاً لأهل بيته يوم القيامة (٨ ص ٧٢).

ولقد أدرك الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم) (شيخاً يتمشى بين بنية متوكئاً عليهما فقال: ((ما شئن هذا الشيخ ؟ فقال أبنائه: يا رسول الله كان عليه نذر. فقال (له: أركب أيها الشيخ فأن الله عز وجل غني عنك وعن نذرك)). (٦ ص ٧٤).

فهل هناك رحمة تعلو هذه الرحمة لرب العزة يرحم بها الشيخ الكبير فلا يدخله النار ولا يحاسبه بل يكون شفيعاً لأهله بيته يوم القيامة فأي منزلة هذه وأي توقير له أما الأولى بنا أن نطيع الله سبحانه وتعالى في ذلك وأن نتقي الله في كبارنا وشيوخنا.

المبحث الثالث

معاملة المسنين من الوالدين في العائلة من وجهة نظر الإسلام

تمهيد

توثيقاً لأواصر المحبة والتعاطف والتماسك العائلي وحفاظاً لأواصر الوحدة والتلاحم والوفاق بين أفراد العائلة الواحدة عزز الله سبحان وتعالى قيم الوفاء والإحسان والعرفان بالجميل وحسن الخلق مع الوالدين خاصة عندما يبلغ الكبر أحدهما أو كلاهما وحدد أسلوب معاملتهم والنهج الذي ينبغي أن ينتهجه الأبناء في ذلك وحدد أسلوب معاملتهم التي شملت ما يأتي:

١- الكلام الطيب معهم وعدم التضجر منهما:

لقد حدد القرآن الكريم أسلوب معاملة الوالدين بما ينسجم ومنزلة هذا الكبير في عائلته وتجنباً لإساءة معاملته التي تترك أثر نفسياً فيه وعدم التضجر منهما أو إظهار هذا التضجر ولين المعاملة والتكلم معهم بأدب جم ولطف القول وأحسنه وأجمله والابتعاد عن زجرهما والرقة معهما ومن لم يفعل ذلك يلقى آثامي فقد قال الله سبحانه وتعالى: ((وقضى ربك أن لا تعبد إلا إياه وبالوالدين إحسانا أما يبلغن عندك الكبر أحدهما وكلاهما فلا تقل لهما أفٍ ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً * واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل ربِ أرحمهما كما ربياني صغيرا)) (الإسراء ٢٣ - ٢٤).

هكذا يأمرنا سبحانه وتعالى بمعاملة الوالدين بكلمات واضحة صريحة حفاظاً لأواصر التماسك ووحدة العائلة التي هي أساس المجتمع الإسلامي.

٢- حسن المعاملة حتى وأن طلبوا منك الإشراك بالله:

أن الشرك بالله يعد من الكبائر أو من عظائم الذنوب التي لا يغفرها الله ويخفر دون ذلك وجزاء من يشرك بالله النار خالداً فيها قال رسول الله سيدنا محمد الكريم (صلى الله عليه وسلم): ((إلا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثاً قالوا بلا يا رسول الله قال: الإشراك بالله ...)) (٤ ص ٨٩).

ومع عظم الإشراك بالله نجد أن الله سبحان وتعالى قد أوصى الإنسان بضرورة الإحسان إلى والديه وصلتهما ومعاملتهما بالمعروف حتى وأن طلبا منه الإشراك بالله على أن لا يطيعهما في ذلك وأن يدعوا الله لهما بالهداية والصلاح.

قال الله تعالى: ((ووصينا الإنسان بوالديه حسناً وأن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما)) (العنكبوت الآية ٢٨). وقال تعالى: ((ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن وفصاله في عامين أن أشر لي ولوالديك ألي المصير * وأن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً)) (لقمان ١٤ ـ ١٥). أما فيما عدا ذلك أي عدا الإشراك بالله فينبغي طاعتهما في كل الأمور ما لم يكن به أثم أو معصية قال الثعلبي (رضي الله عنه) لما أسلم سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه) قالت أمه ((يا سعد بلغني أنك صبات فلا أستظل بظل ولا أكل ولا أشرب حتى تكفر بمحمد فمكثت أيام على ذلك فأخبر النبي الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم) (فأنزل الله تعالى هذه الآية ((التي ذكرت سابقاً)) فآمره النبي الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم) (بالإحسان إليهما وأن لا يطيعهما بالكفر (٧ ص ١٩٦).

٣- اقتران عباد الله بالإحسان للوالدين:

أن عبادة الله سبحانه وتعالى من الأمور المسلم بها في الإسلام بل هي أحد أركان الإسلام الأولى عبادة خالصة منزهة من كل شرك ومن كل وهن أو ضعف عبادة الله وحده لا شريك له هذه العبادة جعلها الله سبحانه وتعالى مقرونة بالإحسان للوالدين اعترافا من الله سبحانه وتعالى بمكانة الوالدين بالنسبة للأبناء وتثبيتاً لفضلهما عليهم حيث جعلهما الله سبحان وتعالى سبباً في عيشهم ووصول هؤلاء الأبناء إلى ما هم عليه الآن بقوله تعالى ((وقضى ربك أن لا تعبد إلا إياه وبالوالدين إحسانا)) (الإسراء آية ٢٣).

٤- عدم مناداة الأب باسمه والجلوس قبله والمشي أمامه:

تأدباً واحتراما للوالد ينبغي على الابن أن لا يدعوه باسمه وأن يفضله بالجلوس أي أن لا يجلس قبله وأن يمشي ورائه إظهارا لهذا الاحترام والتقدير حدثنا هشام بن عروة عن أبيه أو غيره أن أبا هريرة أبصر رجلين فقال لأحدهما ما هذا منك

فقال أبي فقال: لا تسميه ولا تمشي أمامه ولا تجلس قبله. (٤ ص ١٢١).

٥- بر الوالدين:

عن أبن سمعان الأنصاري قال: سالت رسول الله عن البر والإثم فقال: ((البر حسن الخلق)) (١٣ ص ٣٤٤). إن الآيات التي أوردناها سابقاً تدل دلالة واضحة على أن الله تعالى يوصينا ببر الوالدين. فبر الوالدين يعني كما قلنا حسن الخلق مع الوالدين بمعنى أنه يعني أن لا نمتنع عن شيء أحباه ولين الكلام وأحسنه وألطفه معهم وإطعامهم والإنفاق عليهم والدعاء والاستغفار لهم وإنفاذ عهدهما وإكرام صديقهما والحفاظ على ود من يحبونه والذل لهما وعدم أيثار أحداً عليهما زوجة كانت أم أبنه وان نتأدب معهما تأدب العبد المذنب للسيد الفظ الغليظ وأعانتهما على الحق ومنعهما من الظلم بطريقة لا تشعرهم بالتسلط عليهم أو أشعارهم بذنبهم وأن حسهم دائماً بفضلهم وحاجتنا إليهم ونشيد بهم دائماً وأن نأخذ بمشورتهما بعد مشورتهما أن لم يكن في معصية الأحاديث كثيرا في بر الوالدين منهما:

حدثنا أبو عاصم بن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قلت يا رسول الله من أبر ؟ قال:

((أمك، قلت من أبر ؟ قال أمك، قلت من أبر ؟ قال أمك، قلت من أبر ؟ قال أباك ثم الأقرب فالأقرب)) (حديث صحيح) (٤ ص ٧٨).

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أتى رجل إلى نبي الله سيدنا محمد الكريم (صلى الله عليه وسلم) فقال: ((ما تأمرني ؟ قال بر أمك ثم عاد فقال بر أمك ثم عاد الرابعة فقال بر أمك ثم عاد فقال الخامسة بر أباك)) حديث صحيح (٤ص٨٠).

وعن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود (رض) قال: ((سألت النبي الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم) (أي العمل أحب إلى الله تعالى؟ قال: الصلاة في وقتها ثم أي ؟ قال: بر الوالدين قلت ثم أي قال: الجهاد في سبيل الله)) متفق عليه (٩ ص ١٢٩).

ولأهمية بر الوالدين عند الله سبحانه وتعالى فقد جعله الله مكافئاً للجهاد فعن عبد الله بن عمر وأبن العاصي (رضي الله عنه) قال: ((جاء رجل إلى نبي الله سيدنا محمد الكريم (صلى الله عليه وسلم) (فأستأذنه في الجهاد فقال: ألك والدين، قال: نعم، قال: (ففيهما فجاهد) (٩ ص ١٣٣).

كما جعل الله سبحانه وتعالى رضاه مرهون برضى الوالدين وسخطه في سخطهما فقد قال النبي الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم) ((رضى الله في رضى الوالدين وسخط الله في سخط الوالدين)) رواه الترمذي (٧ ص ١٧٦). كما من أهمية بر الوالدين أن جعل الله سبحانه وتعالى الجنة عند قدمي الأم.

فعن معاوية بن جاهمة عن أبيه قال: (أتيت النبي الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم) (أستشيره فقال: ((ألك والده ؟ قلت نعم قال أذهب فأكرمها فأن الجنة تحت رجليها)) (٦ ص ٧٨).

كما من أهمية بر الوالدين أن جعله الله سبباً بدخوله الجنة. عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن النبي الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم) قال: ((رغم أنف ثم رغم أنف قيل من يا رسول الله قال: من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كليهما فلن يدخل الجنة)). (١٣ص٣٤٣-٣٤٤).

ومن مظاهر بر الوالدين في الإسلام أيضاً ما يأتي:

أولاً: عدم تفضيل الزوجة عليهما:

أن للأم والأب منزلة خاصة لدى الأبناء في نظر الإسلام وهذه المنزلة والمكانة ينبغي أن يحافظ عليهما ولا يمكن التفريط بها. وهي أن يكون الوالدين هم المفضلين على أي إنسان في الأسرة مهما كان ذلك الإنسان. لذلك من فضل زوجته على والديه بدون وجه حق فلا تقبل منه فريضته ولا نافلة لقوله: ((من فضل زوجته على أمه لعنه الله والملائكة ولا يقبل منه صرف ولا عدل ويعني فريضة ولا نفلاً)). (٧ ص ١٩٩).

ثانياً: زيارة قبر الوالدين بعد موتهما:

أن الله تعالى تكريماً للوالدين جعل في زيارتهما في قبرهما مغفرة فقد روي عن الطبراني عن النبي الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم): ((من زار قبر أبويه أو أحدهما من كل جمعة غفر له وكتب له براءة)) (٧ ص٢٠٥).

ثالثاً: الحج عنهما بعد موتهما:

إن الحج عن الوالدين بعد موتهما جعله الله عتقاً من النيران للأبناء الذين يقومون بذلك. فعن النبي الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم): ((من حج عن والديه بعد موتهما كتب له عتقاً من النار)) (٧ص٢٠٥).

رابعاً: أداء دينهما بعد موتهما:

أن أداء دين الوالدين بعد موتهما جلت الإسلام من الأمور المهمة قال جابر أبن عبد الله (رضي الله عنه) لما قضيت دين أبي قال النبي الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم): ((يا جابر قضيت دين أبيك غفر الله لك وهكذا خمسا وعشرون مرة)) (٧ ص ٢٠٦).

خامساً: تقبيل الوالدين:

أن تقبيل الوالدين والآم بشكل خاص جعله ستراً لمن يفعل ذلك من النار لما يؤدي ذلك من شعور الأم بالرضا والسرور وطاعة الابن لهما ومحبته لها حيث روي البهيقي بن شعبة عن أبن عباس عن النبي الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم): ((من قبل بين عيني أمه كان له ستر من النار)) (٧ص٢٠٤).

وجاء في شريعة الإسلام من قبل رجليه أمه فكأنما قبل عتبة الكعبة (٧ ص ٢٠٤).

سادساً. التصدق عن الوالدين بعد موتهما:

عن ابن عباس أن رجلاً قال: (يا رسول الله أن أمي توفيت ولم توص، أفينفعهما أن أتصدق عنها ؟ قال نعم) (٤ ص ١١٣).

سابعاً: صلة ود الوالدين أبي أصدقائهما:

جعل الإسلام صلة ود الوالدين واستمراره من قبل الأبناء وصلة من كانوا يحبونه من أبر البر بقوله ((أبر البر أن يصل الرجل ود أمه)). (١٣ ص ٣٤٤).

وعن أبن عمر (رضي الله عنه) أن النبي الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم) قال: ((أن أبر البر أن يصل الرجل ود أبيه)) (٩ص١٣٩).

ثامناً: عدم إبكائهما والعمل على إدخال السرور لقلبيهما:

أن من دقائق الأمور التي دعا إليها الإسلام معاملة الأبوين والرحمة بهما والشفقة عليهم هو عدم إبكائهما مهما كانت الأسباب بل الحرص على مسرتهما وأفراحهما وإدخال السرور إلى قلبيهما فعن عبد الله بن عمرو قال: - (جاء رجل إلى النبي الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم) (يبايعه على الهجرة وترك أبويه يبكيان فقال أرجع إليهما وأضحكهما كما يبكيان) (٤ص٩٣).

وعن أبن عمر (رض) قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (قال: ((نومك على السري بر الوالدين تضحكهما ويضحكانك أفضل من جهاد بالسيف في سبيل الله عز وجل)). (٦ ص ٨٧).
بل جعل ابن عمر بكاء الوالدين من الكبائر والعقوق حيث يقول (بكاء الوالدين من العقوق والكبائر). (٤ ص١٠٤).

تاسعاً: طاعة الوالدين:

إن طاعة الوالدين واجبة وملزمة في غير معصية وجعل الله من يطيع والديه في عليين وقرنها الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم) بطاعة الله سبحانه وتعالى، فعن النبي الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم) قال: (العهد المطيع لوالديه والمطيع لرب العالمين في أعلى عليين) (٧ص١٩٧).
إن الإنسان مهما عمل ومهما خدم والديه لا يمكن مجازاتهم والوفاء بحقهم بل أن لا يمكنهم ذلك ولو بجزء يسير من فضلهم عليه وما بذلوه من جهد وتربية لأجله حيث قال رسول الله (((لا يجزي ولد والده حتى يجده مملوكاً فيشتريه فيعتقه)). (٤ص٨٤).

بل أن رجلاً يمانياً يطوف بالبيت حاملاً أمه وراء ظهره يقول أني لها بعيرها المذلل أن أذعرت ركابها لم أذعر ثم قال يا أبن عمر ؟ أتراني جزيتهما ؟ قال: لا، ولا بزفرة واحدة. (٤ص٨٥).

عاشراً: النفقة على الوالدين:

أن الله سبحانه وتعالى قد جعل أول ما ينفق من الأموال إنما تنفق على الوالدين فهم أولى من غيرهم في النفقة ومفضلين على الأقارب واليتامى والمساكين وأبن السبيل يحفظهم من العوز والفاقة ويصون كرامتهم ويبعدهم من الذل والهوان لقوله تعالى: ((يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وأبن السبيل وما تفعلوا من خير فأن الله به عليم)). (البقرة آية ٢١٥).

أحد عشر: عقوق الوالدين:

أن الله سبحانه وتعالى قد جعل عقوق الوالدين من أكبر الكبائر والأحاديث ثلاثاً قالوا بلا يا رسول الله قال: ((الإشراك بالله وعقوق الوالدين وجلس وكان متكئاً، إلا قول الزور، وما زال يكررها حتى قلت ليته سكت)) متفق عليه.
وعن عبد الله بن عمرو بن العاص (رض) عن النبي الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم) قال:

((الكبائر الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، واليمين الغموس)). رواه البخاري (٩ص١٣٧).

أن ما ذكرناه يسير من كثير مما يأمرنا ويوصينا به الله وسيدنا محمد (بوجوب معاملة كبار السن من هذه الأمة ويحدد مسؤولية الأبناء الشرعية والأدبية والأخلاقية نحو كبار السن والوالدين حفاظاً على مكانة هؤلاء الكبار وتحقيق الأمن الاجتماعي والمادي والنفسي والحياتي بشكل عام لهم وحفاظاً على الأسرة كوحدة اجتماعية أساسية في المجتمع وهو دستور أخلاقي وأنساني فضلاً عن أنه قانون ألهي ينبغي أن يتمسك به الفرد طالما رغب في مرضاه الله وصالح نفسه ومجتمعه عن أيمان وقناعة كبيرين نابعة من قلب نقاة الإسلام وظهر سريرته فلا طاعة غير طاعة الله سبحانه وتعالى ونبيه الكريم).

كما أن الإسلام إدراكا منه إن تفكك المجتمع من تفكك الأسرة الذي يهتم الإسلام اهتماما كبيرا في صلاحها وان تماسك الأسرة له دوراً رئيسياً في تماسك المجتمع وضع منهاجاً وأرسى دعائم العلاقات داخل الأسرة بعد أن هذب النفوس واقتلع جذور الشر منها وزكاها فأصبحت عامرة بالأيمان والخوف من العليم الديان الذي هو اقرب إليه من حبل الوريد. لذلك إن مشكلة المسنين لم تكن موجودة في الإسلام على الأقل في عصوره الأولى. لأن للكبير مكانة كما أسلفنا لأنه يمثل رمزاً للعائلة ومصدر اعتزازها وفخرها لا يمكن التفريط فيه مطلقاً عند المؤمن بل أن عقوق الوالدين يعد عاراً ملازماً له وغضب من الله يخشاه المؤمن.

المبحث الرابع

الاستنتاجات والتوصيات

الاستنتاجات

من خلال بحثنا يمكن أن نستنتج ما يأتي:

(١) أن مشكلة المسنين لم تكن موجودة في المجتمع الإسلامي على الأقل في عصوره الأولى.

(٢) أن الإسلام كفل للمسن العيش الرغيد والاحترام الكبير في ظل الدفء والحنان العائلي في عائلته التي تحبه وتقدره وترعاه وتحترمه.

(٣) أن الإسلام ضمن للمسنين الحياة التي ينبغي توفيرها لهم فيما إذا عجزت الأسرة عن ذلك أما عن طريق المجتمع ((وفي أموالهم حق للسائل والمحروم)) أو ((لزكاة أو الصدقات)) أو عن طريق بيت المال.

(٤) أن الإسلام ربط بين ثواب الآخرة والدنيا وبين احترام الكبير وتوقيره وحمايته ..

التوصيات

(١) أن تأخذ وسائل الأعلام دورها في تجسيم هذه القيم السامية والتعاليم العالية التي جاء بها الإسلام بخصوص كبار السن والوالدين منهم.

(٢) أن تتضمن مناهج التربية الإسلامية مساحة تنسجم مع أهمية هذا الموضوع وضرورته في الوقت الحاضر.

(٣) أن تأخذ المؤسسات التربوية كالمدرسة والكلية والمنظمات الجماهيرية دورها في عملية التوجيه والإرشاد بهذا الخصوص.

(٤) أن يخصص جزء من صندوق الزكاة والصدقات لمساعدة كبار السن في حياتهم وتخصيص رواتب لهم.

(٥) معاقبة الأبناء الذين يعقون آباءهم قانوناً واعتبار ذلك من الأمور المشددة.

مصادر البحث

٠١ القرآن الكريم.
٠٢ أحمد، أحمد كمال ((منهاج الخدمة الاجتماعية في المجتمع الإسلامي))، الجزء الأول ـ القاهرة ـ مطبعة المجد ١٩٧٧.
٠٣ إسماعيل، سيد عزت (الشخصية أسبابها مضاعفاتها ـ الكويت ـ وكالة المطبوعات ١٩٨٣.
٠٤ البخاري، الأمام الحافظ محمد بن إسماعيل ((أدب المفرد))، ج ١، ط ١ بغداد، مطبعة الحوادث ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م.
٠٥ ((المظاهر الاجتماعية والديموغرافية والنفسية)) ـ رسالة دكتوراه غير منشورة ـ بغداد ـ جامعة بغداد ـ كلية الأدب ١٤١٦ هـ ١٩٥٥ م.
٠٦ الراوي، مسارع حسين (سيكولوجية الشيخوخة وموقف الإسلام من كبار السن)، بغداد، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر ١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٩ م.
٠٧ الشافعي، الشيخ عبد الرحمن الصفوي، نزهة المجالس ومنتخب النفائس ـ الجزء الأول ـ بيروت ـ دار الكتب ـ لم يذكر سنة الطبع.
٠٨ الشافعي، الشيخ عبد الرحمن الصفوي، نزهة المجالس ومنتخب النفائس ـ الجزء الأول ـ بيروت ـ دار الكتب ـ لم يذكر سنة الطبع.
٠٩ الشافعي، محي الدين بن زكريا يحي بن شرف النووي ـ رياض الصالحين ـ الطبعة الثالثة ـ بغداد ـ مطبعة الزمان ١٩٩٠ م.
٠١٠ عبد الرحمن، عبد الحافظ، ثلاث لا يؤجرون، مجلة التربية الإسلامية ـ بغداد ـ العدد الثامن ـ السنة الخامسة والثلاثون ـ شركة الخنساء للطباعة المحدودة ١٤٢٣ هـ ـ ٢٠٠٢ م.
٠١١ الزجاجي، أحمد بن داود، مصطلح النظرية في العلوم الاجتماعية ومدى موافقته للمنظور الإسلامي (دراسة إدارية) مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الإمارات العربية المتحدة، دولة الإمارات العربية المتحدة، عدد (١) مجلد (١٤) أبريل ١٩٩٨.
٠١٢ موسى، غانم فنجان، اتجاهات حديثة في إدارة الموارد البشرية ـ هيئة المعاهد الفنية ـ بغداد ـ دار الكتب والوثائق ١٩٩٠ م.
٠١٣ النيسابوري، الأمام أبي الحسين مسلم الحجاج بن مسلم القشيري، مختصر صحيح مسلم، الطبعة الأولى، بيروت، دار مكتبة الهلال، ١٩٨٧ م.
٠١٤ هاشم، زكي محمود، أساسيات الإدارة، الطبعة الثانية، الكويت، ذات السلاسل ١٩٨٩ م.